مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
ISSN: 2709-0302 (online)

Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

أهمية النبوءة في التخطيط والاستشراف
(دراسة تأصيلية وتطبيقية)(*)

د/ عبد الحليم بن محمد الهادي قابة
أستاذ في جامعة أم القرى بمكة المكرمة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
hasen1962@gmail.com

*) تاريخ تسليم البحث 20/2/2022 تاريخ قبوله للنشر 10/3/2022
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

أهمية النبوءة في التخطيط والاستشراف (دراسة تأصيلية وتطبيقية)

د/ عبد الحليم بن محمد الهادي قابة
أستاذ في جامعة أم القرى بمكة المكرمة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

ملخص البحث

هذا البحث محاولة لتأصيل فكرة ضرورة الاهتمام بالنبوءات النبوية المستقبلية وجعلها أولوية كبرى عند التخطيط والتنظير لنهضة الأمة، وترشيد مسار الناس بهدي النبي صلى الله عليه وسلم، في غياب شخصه الكريم، وشدة الحاجة إلى التصرف السليم عند وقوعها، غير أن هناك نبوءات معها التوجيه النبوي الصريح لما ينبغي فعله عند وقوعها، ونبوءات أخرى ليس معها ذلك، فنحتاج إلى اجتهاد المجتهدين في استنباط ما ينبغي أن يُفعل؛ لذلك عرضت الفكرةَ في هذا البحث الذي اعتمدت فيه المنهج الاستنباطي التحليلي كان ذلك في قسمين: قسم نظري لعرض الفكرة وتأصيلِها، وشيء من ضوابطها، بعد بيان أهميتها وضرورة الاهتمام بها قبل غيرها في مسار الاستشراف والتنظير والتخطيط المستقبلي. وقسم آخر لنماذج نبوءات الصنف الأول، ووقفت عند توجيهاتها، وأخرى مِن الصنف الثاني، وحاولتُ استخراج ما يُستفاد منها لتحقّق الحكمة من التحديث بها، مع سرد لنماذج أخرى من النبوءات – دون تعليق– لتكون بين يدي القارئ إذا ما أراد معرفة أمثلة أخرة، ورام مواصلة السير في هذا الطريق، وختمت البحث بنتائجه الدالة على أهميته، وأهمها أن هذه النبوءات معطيات معصومة ينبغي الاعتناء بها قبل غيرها في مسار التخطيط والتنظير والاستشراف، وأن تجاوزَها نوعٌ من الإعراض عن النصوص التي أُمِرنا بالاحتكام إليها. ثم أتبعتُ النتائج بتوصيات ذات بال، منها اقتراح دراسة موسوعية عن الموضوع بقسميه المفصّلين في البحث، وبإدراج هذا المجال المعرفي المهمّ في المقررات الجامعية في التخصصات المناسبة.

أسأل الله أن يهيّئ لها من ينفّذها، ويُحوِّل علمها إلى عمل. والله الموفق.

الكلمات المفتاحية: نبوءة، تخطيط، استشراف.

The importance of prophecy in planning and foresight (original and applied study)

Dr. AbdulHalim bin MuhammadAl Hadi Gaba
Professor at Umm Al-Qura University in Makkah Al-Mukarramah
College of Da`wah and Fundamentals of Religion
Department of Da`wah and Islamic Culture

Research Summary

This research is an attempt to root the idea of the necessity of paying attention to future prophetic prophecies and making them a major priority when planning and theorizing for the renaissance of the nation, and to rationalize the people's path with the guidance of the Prophet, peace and blessings be upon him, in the absence of his honorable person, and the great need for proper behavior when they occur, but there are prophecies with explicit prophetic guidance For what should be done when it occurs, and other prophecies that are not with that, so we need the diligence of the mujtahids to elicit what should be done; Therefore, the idea was presented in this research, in which I adopted the deductive-analytical approach. This was in two parts: a theoretical section to present and root the idea, and some of its controls, after explaining its importance and the need to pay attention to it before others in the course of foresight, theorizing, and future planning.

And another section is for models of the first category's prophecies, and I stood at their directives, and others of the second category, and I tried to extract what is useful from them to verify the wisdom of updating them, with a narration of other models of prophecies - without commenting - to be in the hands of the reader if he wants to know other examples, and I want to continue Walking this path, and concluded the research with its results indicating its importance, the most important of which is that these prophecies are infallible data that should be taken care of before others in the path of planning, theorizing and foresight, and that they are overridden by a kind of turning away from the texts that we have been commanded to resort to. Then I followed the results with significant recommendations, including the proposal of an encyclopedic study on the subject in its two detailed sections, and the inclusion of this important field of knowledge in university curricula in the appropriate disciplines.

I ask Allah to prepare for it someone who will implement it, and turn its knowledge into action. Allah bless.

Keywords: prophecy, planning, foresight.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه.

وبعد: فهذا بحث نظري وتطبيقي على النبوءات النبوية وأهميتها في مسار التنظير والتخطيط لحاضر الأمة ومستقبلها، وكمصدر مهمّ للغاية في ذلك، شرح الله صدري لدراسته؛ لأهداف ومعطيات وأسباب وَفق مناهج مناسبة له، سأعرض لها كما يلي:

الهدف من البحث:

أهدف إلى التنبيه على مصدر معصوم يعاني شيئا من الإهمال عند بعض المنظرين للإصلاح والتغيير، ولبيان أولويته الكبرى، وأهميته العظمى في هذا المسار المبارك الذي يسلكونه؛ لعلني أسهم –ولو بشيء يسير– في الترشيد والهداية. وسيتضح ذلك أكثر فيما سيأتي، إن شاء الله.

أسباب اختيار البحث:

لعل أهمّها ربط أمورنا كلها – وخاصة ما يتعلق بمصير الأمة – بالقرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبالسنة النبوية التي هي وحيٌ يوحى، وفي ذلك عصمة من الانحراف والتيه، وضمان للاستقامة والصواب.

إشكال البحث:

يتمثل في التساؤلات الآتية:

١– هل في النبوءات ما ينبغي أن نتحاكم إليه في الدراسات الاستراتيجية، والتخطيطات المستقبلية؟؟؟ وكيف يكون ذلك؟؟؟

٢– لماذا حصل شيء من الإعراض عن حسن الاستفادة من النبوءات النبوية، خاصة أن منها ما فيه تصريح صريح بما ينبغي فعله عند تأويل النبوءة ووقوعها؟؟؟

٣– ما فائدة الإخبار بالنبوءات أصلا، إن لم يكن لمقصد شرعي مرعيّ؟؟؟

الدراسات السابقة:

بخصوص موضوع التنظير والتخطيط ونحو ذلك، وإنما وقفت على دراسات تخدم فكرة الاهتمام بالنبوءات وأحاديث الفتن وأشراط الساعة، بشكل عام وتؤصل لها وتعين عليها، وبعضها – وهو نادر جدا– عرض للجانب الدعوي[1] وهو قريب من عملي، ويخدم فكرتي، لكنه ليس هو مقصدي. جزى الله أصحابها خيرا، شاكرا لهم سبقهم وعلوّ هممهم واهتمامهم. منها: أحاديث المستقبل (دراسة دعوية)، لسلطان بن عمر الحصين.

ومنها: النبوءات النبوية لأحداث هذا الزمان، ليوسف رشاد.

ومنها: النبوءات النبوية لمصر والعراق وسوريا، لأحمد عبد الله زكي عميش.

(١) وهو الأول في الدراسات المذكورة هنا.

ومنها: استشراف المستقبل في ضوء الحديث النبوي الشريف، لمحمد بشار الفيضي.

ومنها: كتاب النبوّات، لابن تيمية الحراني.

ومنها غير ذلك كثير مما تنوعت فيه اهتمامات كاتبيها وتعددت مناهجهم، ولكني لم أجد –فيما وقفتُ عليه – أيَّ أحد خصّص دراسة كاملةً تكون مرجعا لما أردتُ التنبيه عليه في هذه الصفحات القليلة، وهو ما فيها من توجيهات أو ما يستنبط منها مما يتعلق بالتخطيط والتنظير للأفراد وللأمة ومستقبلها، وما ينبغي أن يُقدّم وما ينبغي أن يؤخر، على أمل أن يوفّق الله لتوسعة البحث وتفصيل القول فيه، أو يسخر الله له من يُوفّق لهذا العمل المهم والمبارك، ممن هو أهل له، وأولى به، إن شاء الله، والذي أراه جديرا بأن تُكتب فيه موسوعة شاملة تستوفي جميع جوانبه في حدود الطاقة البشرية.

منهج البحث:

سِرتُ في جهدي هذا وفق مناهج البحث المناسبة للموضوع وهي: المنهج الاستدلالي الاستنباطي والمنهج التحليلي؛ لما يتطلبه البحث من جمع وتصنيف وتركيب واستدلال وتحليل واستنباط، وتأصيل وتطبيق؛ لتحقيق أهدافه. والله الموفق.

خطة البحث: جعلتُ البحثَ في مقدمة وقسمين – نظريّ وتطبيقيّ– في كل قسم مبحثان، ثم خاتمة، على النحو التالي: **التمهيد:** وفيه التعريف بمصطلحات العنوان، والتعريف الإجرائي الخاص.

القسم النظري. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: فكرة البحث وأهميتها والتأصيل لها. وفيه ثلاثة مطالب:

– **المطلب الأول:** فكرة البحث.

– **المطلب الثاني:** التأصيل لفكرة البحث.

– **المطلب الثالث:** أهمية النبوءة في مسار الإصلاح الشامل.

المبحث الثاني: ضوابط في التعامل مع النبوءات بشكل عام.

القسم التطبيقي. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نبوءات مستقبليّة معها توجيهات نبويّة. وفيه مطلبان:

– **المطلب الأول:** حديث فساد الزمان.

– **المطلب الثاني:** حديث نفي اجتماع الأمة على ضلالة.

المبحث الثاني: نبوءات مستقبلية مع استنباط فوائد استشرافية. وفيه مطلبان:

– **المطلب الأول:** أحاديث انتشار الإسلام في العالم.

– **المطلب الثاني:** حديث الإشارة إلى عالم المدينة، الإمام مالك رحمه الله.

الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات. **والله وليّ التوفيق.**

تمهيد: التعريف بمصطلحات البحث.

المطلب الأول: تعريف النبوءة لغة واصطلاحا:

أولا: النبوءة لغة:

تدور معاني هذه الكلمة في اللغة حول معنى الخبر والإخبار دون تخصيصها بمصدر معين.

جاء في مختار القاموس المحيط: "نَبَأُ: الخَبَرُ، ج: أنْبَاءٌ. أنبأه إياه ـ أنبأ به: أخْبَرَهُ ـ اسْتَنْبَأَ النَّبَأَ: بَحَثَ عنه. والنَبِيءُ: المخْبِرُ عن الله تعالى، وتَرْكُ الهمزِ المختارُ، ج: أنْبِياءُ والنَّبِيؤُونَ، والاسمُ: النُّبُوءَةُ. وتَنَبَّأَ: ادَّعى النبوءة"(٢) وجاء في مختار الصحاح: "النَّبَأُ الخبر يُقال نَبَأَ ونَبَّأَ وأَنْبَأَ أي: أخبر، ومنه النَّبِيُّ؛ لأنه أنبأَ عن الله وهو فَعِيل بمعنى فاعل..."(٣)

ثانيا: النبوءة اصطلاحا:

يدور معناها عند علماء العقيدة أيضا حول الخبر والإخبار. فقيل بأنها: "تكهُّن أو استشفاف أو توقُّع النتائج أو أحداث المستقبل قبل وقوعها عن طريق التخمين، أو دراسة الماضي، أو التحليل العلميّ والإحصائيّ لوقائع معروفة."(٤)

وواضح أن هذا التعريف غير جامع؛ لأن النبوءة التي تصدر عن الأنبياء لا تكون عن طريق ما ذُكر، إنما عن طريق الوحي حصرا.

ومن معانيها الاصطلاحية أيضا:

١- تكليف إلهيّ لواحدٍ من البشر، يختاره الله لتبليغ رسالته إلى الناس...

٢- مقامُ النبيّ وجميع مميّزاته وخصائصه... {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوءَةَ وَالْكِتَابَ}.

٣- إخبار عن الشّيء قبل وقته حزْرًا وتخمينًا"(٥) [وكذبا وافتراءً، كإخبار المنجّمين والمتنبئين والدجالين عن الغيب!]

وبالإمكان تعريف النبوءة المقصودة هنا، بأنها إخبار نبيّ من الأنبياء عن أمور مستقبليّة غيبية أُوحي إليه بها ليخبر الناس بها لحِكَم وغاياتٍ ومقاصدَ جليلة(٦).

(٢) مختار القاموس المحيط، للفيروزآبادي: مادة (نبأ)، ص: ٥٨٩. طبعة دار خدمات القرآن – دمشق سوريا، د. ت.

(٣) مختار الصحاح للرازي: مادة (نبأ)، ص: ٦٤٢ طبعة مؤسسة الرسالة بيروت، سنة: ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

(٤) معجم المعاني الجامع، الموقع المعاني الرسمي، مادة، (ن ب أ). تاريخ الاقتباس: ١٤٤٣/٧/٢٩هـ.

(٥) المصدر نفسه، والتاريخ نفسه.

(٦) تعريف مختصر جامع صاغه الباحث من مجموع ما اطلع عليه من تعريفات وتفصيلات وقيود واحترازات.

المطلب الثاني: تعريف التخطيط لغة واصطلاحا.

أولا: التخطيط لغة:

مادة التخطيط الخاء والطاء، ولها معان عديدة واشتقاقات عديدة، نقتصر-اختصارا- على ما ذكره صاحب مختار الصحاح، فقد جاء فيه: "الخَطُّ واحد الخُطُوطِ، والخَطُّ أيضا موضع باليمامة، وهو خط هجر تنسب إليه الرماح الخطية لأنها تحمل من بلاد الهند فتقوم به، وخَطَّ بالقلم كتب وبابه نصر، وكساء مُخَطَّطٌ فيه خطوط، والخِطّةُ بالكسر الأرض التي يختطها الرجل لنفسه وهو أن يعلم عليها علامة بالخط ليعلم أنه قد احتازها ليبنيها دارا، ومنه خِطَطُ الكوفة والبصرة، واخْتطّ الغلام نبت عذاره، والخُطَّةُ بالضم الأمر والقصة، وهو في حديث قيْله، والخُطَّةُ أيضا من الخط كالنقطة من النقط"(٧).

ثانيا: التخطيط اصطلاحا:

وقفتُ على تعريفات عديدة للتخطيط، نكتفي منها بتعريفين جامعين مانعين؛ لأخذ تصوّر سليم عن هذا المصطلح.

الأول: إنّ التخطيط "يشمل التنبُّؤ بما سيكون عليه المستقبل، مُتضمّناً الاستعداد لهذا المستقبل"(٨).

الثاني: إنّ التخطيط هو: "فنُّ التعامُل مع المستقبل، وأنّه الوظيفة المبكِّرة، أو نقطة البداية في أيّ عمليّة، وأنّه يتضمَّن تصميم الأهداف، وتقييمها، واختيار المناسب منها، وتحديد كيفيّة بلوغها، من خلال برامج، وأنّ هذه الأهداف هي بمثابة معايير؛ لقياس الأداء الفِعليّ، فالتخطيط يقوم على عُنصرَين أساسيَّين: التنبُّؤ بالمستقبل، والاستعداد للمُستقبل"(٩).

المطلب الثالث: تعريف الاستشراف لغة واصطلاحا.

أولا: الاستشراف لغة:

قلّ أن تجد اللفظة بحروفها في المعاجم القديمة عند كلامهم على مادة شرف، لكني وجدت ابن فارس يقول: "استشرفت الشيء إذا رفعت بصرك تنظر إليه"(١٠). إلا أن المعاجم الحديثة عرضت لها بخصوصها، فنقتصر هنا على بعض ما جاء في المعجم الوسيط: "اسْتَشْرَفَ: انْتَصَب وعَلاَ، واسْتَشْرَفَ للشيءِ: تعرّضَ، واسْتَشْرَفَ الشيءَ: رفع بصرَهُ ينظرُ إليه"(١١).

---

(٧) المرجع السابق: ص١٨٠-١٨١

(٨) انظر: التخطيط والبرمجة التربوية للأنشطة البدنيّة والرياضيّة، الجزائر- مروان جوبر (٢٠١٨م)، فسديس: جامعة مصطفى بن بولعيد، باتنة، الجزائر، ص٢.

(٩) هو تعريف لأحد الباحثين نقله بتصرف يسير ساحلي مبروك، مناهج وتقنيات الدراسات المستقبلية وتطبيقاتها في التخطيط، الجزائر: جامعة أم البواقي، ص ٢.

(١٠) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) ت أنس الشامي، طبعة دار الحديث، القاهرة، سنة ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص٤٧٦.

(١١) المعجم الوسيط عن معجم المعاني الجامع، الموقع الرسمي، مادة، (ش ر ف). تاريخ الاقتباس: ١٤٤٣/٧/٢٩هـ.

ثانيا: الاستشراف اصطلاحا:

للاستشراف تعريفات عديدة من أجمعها وأوفاها هذا التعريف: "هو علم حديث وجهد علمي منظم يدرس الماضي والحاضر ليتوقع المستقبل من خلال سنن الله في خلقه.. كما يعتمد على أحدث المعطيات الاقتصادية والعلوم المتطورة والتقنيات المتقدمة لتصور ما يكون عليه العالم بعد عقد وعقدين.

كما أن الدراسات الاستشرافية لا تهدف إلى التنبؤ بالمستقبل بل إلى التبصير بجملة البدائل المتوقعة التي تساعد على الاختيار الواعي لمستقبل أفضل.."[١٢].

ومعلوم أن الاستشراف ليس مرادفا للتخطيط، وقد فُرِّق بينهما بما يلي:

الاستشراف:

يُعنى بالتعرف على احتمالات ما سوف يكون في المستقبل، أي إن نتائجه متعددة الاحتمالات مع محاولة ترجيح إحداها دون أن تكون معنية بالوصول إلى نتيجة معينة.

التخطيط الاستراتيجي:

يُعنى بتحديد هدف معين مسبقاً ومحاولة الوصول إليه، وبالتالي فإن الاستشراف يساعد بشكل كبير في توجيه التخطيط الاستراتيجي"[١٣].

التعريف الإجرائي:

وباستحضار المعاني الاصطلاحية لمفردات العنوان ومراعاة مقصود الباحث ببحثه؛ يمكن صياغة هذا التعريف الإجرائي كما يلي:

أهميةُ ومكانةُ النبوءة والأخبار النبوية المعصومة عن أمور غيبية ستقع في المستقبل، وموقعُها من الدراسات المستقبليّة التي تُعنى بالاحتمالات المتوقعة في ما يُستقبل، وكذا موقعها من التخطيطات الاستراتيجية التي تُطلب عند وقوع هذه الاحتمالات.

(١٢) بحث منشور في موقع المنال بتاريخ نوفمبر ٢٠١٨م، بعنوان: مفهوم وقيمة استشراف المستقبل، تاريخ الدخول: ١ شعبان ١٤٤٣هـ.

(١٣) المصدر نفسه. والتاريخ نفسه.

القسم الأول: الجانب النظري:

المبحث الأول: فكرة البحث، وأهميتها، والتأصيل لها.

المطلب الأول: فكرة البحث.

يدور البحث كلُّه حول فكرة واحدة، وهي الاستفادة من النبوءات النبوية في الإصلاح والتوجيه بشكل عام، وفي التخطيط والتنظير لمستقبل الأمة، بشكل خاص، بدءًا من التأصيل للفكرة، ومرورا ببيان أهمية النبوءات في ميزان الأولويات، ودراسة لتطبيقات عملية عن الفكرة، بالوقوف على نماذج من النبوءات النبوية مما يكون فيه التوجيهُ ظاهرا جلياً يُفهم من ظاهر اللفظ بسهولة، وكذلك مما يكون فيه التوجيه يحتاج إلى شيء من التأمّل وإعمال الفكر، مع التركيز على ما يتعلق بالتخطيط والتنظير لعلاج أدواء هذه الأمة، وسلامة مسارها فيما تستقبل في قابل الأيام، ثم –أخيرا– بالتأكيد على نتائج الدراسة في خاتمة البحث.

وكل ذلك في سياق ترتيب أولويات طلاّب العلم، والمهتمين بشأن الأمة ومستقبلها، وترشيدِ مسار الدعوة والدعاة، والمساهمة في عملية الإصلاح بما يراه الباحث أولويّة تعظم بالإعراض عنها البليّة؛ لأن التوجيه المعصوم بعصمة الوحي، لا يُقدّم عليه ما دونه، لو كان الناس يعقلون.

المطلب الثاني: التأصيل لفكرة البحث

لا يشك مسلم في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى، وأنه مبلغ عن ربه، وبلاغُه يتجلى بشكل أجلى في الإخبار عما يُستقبل، لأنه بشر لا يعلم من الغيب إلا ما علّمه علاّم الغيوب، {**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا**.....}، فإذا أخبر عن شيء سيقع في مستقبل الأيام، فالقطع حاصلٌ بعصمته فيما أخبر عنه، وأنه مبلّغ عمن لا فرق عنده بين الغيب والشهادة، فكأنه – وهو الصادق المصدوق – أخبر عن حدث حصل بين يديه وشهد تفاصيله وهو في كامل قواه وعافيته، ويعضد هذا القطع الإيماني عند المسلمين ما تحقق فعلا من نبوءاته صلى الله عليه وسلم، وعاشها الناس كما أخبر عنها صلى الله عليه وسلم على التمام والكمال، كفتح بيت المقدس وفارس والقسطنطينية وغيرها(١٤)، فازداد اليقين واطمأنت القلوب.

هذا ولا يخفى أن الاقتداء المأمور به غير منحصر في أمر جليّ أو نهي قوليّ، بل هو شامل لما يسمى تنظيرا وتخطيطا، ولما يدرجه بعضهم تحت مسمى المحاكمات والموازين، ومبرر ذلك هو النبوة –كما سبق– فكيف إذا ساندها ما عرفه القاصي والداني مما أكرم الله به نبيَّه من كمال عقل، وحسن تدبير، وإبداع قيادي، ونحو ذلك مما يفتخر الناس اليوم بعشر معشاره إذا تحقق فيهم.

كل ذلك وغيرُه يجعل فكرة الرجوع – بعد القرآن ومع القرآن– إلى ما ورد عن الصادق المصدوق من إشارات وتصريحات لها علاقة بما يستقبل في قابل الأيام، أمرًا لازما لا مناص منه، قبل الرجوع إلى زيد أو عمرو، ولو كان من أكبر العلماء والمنظِّرين، مع وجوب الحرص على سلامة الفهم وحسن الفقه الذي يتطلب عمقا في اللغة، وفي

(١٤) انظر في ذلك: كتاب موسوعة الدار الآخرة للدكتور عبد المجيد الهنداوي، ط مكتبة عباد الرحمن، ومكتبة العلوم والحكم، (٢٠٠٧) مصر. ص٢٧٠، وما بعدها.

علوم الشريعة، وقواعد تفسير النصوص، والتي منها: عدم القطع فيما لا قطع فيه، واجتناب حمل النصوص على ما لا تحتمل، ونحو ذلك مما هو مسطور عند أهل العلم في كتبهم عامة، وكتب الأصول خاصة، وفي مباحث دلالات النصوص بشكل أخص، والله الموفق(١٥).

المطلب الثالث: أهمية النبوءة في مسار الإصلاح الشامل

النبوءة كلام معصوم –كما ذكرنا– له أهميته البالغة في التوجيه والتربية على كافة المستويات، وفي كافة الميادين دون ريب.

ولا يخفى على عقلاء الأمة أن من أهم الميادين التي يهتم به أهل الرشد والمهتمون بالإرشاد هو ميدان الإصلاح الشامل تنظيرا وتطبيقا، وقد تعارف الناس على الرجوع إلى عقول كبيرة منَّ الله على هذه الأمة بها، وعلى الوقوف على تجاربهم ومناهجهم وأعمالهم ممن يسمونهم زعماء الإصلاح، أو قادة الجمعيات، أو المجددين، أو نحو ذلك.

ولا أظن سائرا في طريق الإصلاح إلا وقد ائتسى بمن سبقه من هؤلاء الأفاضل في قليل أو كثير. ولا يخفى أن القدوة لديهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دون شك، وهذه كتبهم وتوجيهاتهم مليئة بالحث على الاهتمام بسيرة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وسنته والاستدلال بها، والمكتبة الإسلامية تغص بما ييسِّر هذا المسار، إلا أنني أحسست بافتقارها إلى التنبيه على أهمية النبوءة ووجوب الوقوف على ما فيها من توجيهات، خاصة ما يتعلق بالتخطيط والتنظير، ولا أدري ما سبب ذلك، وإنّي لأتساءل: كيف يصح الإعراض عن توجيه نبوي معصوم والإقبال على رؤى بشرية ليست معصومة، قد تصيب وقد تخطئ؟؟؟.

ولست بهذا أزهّد فيها، خاصة وفيها أدويه أدواء واقعهم المتغير، وكثير منها مستنده نصوص الشرع، واجتهادات مقبولة ونافعة، إلا أن الأصل أصل، والفرع فرع.

وإيماننا بأن التوجيه من الحكيم، –خاصة في قضايا مصيرية– لا يقال ليُتلى دون عمل، ولا ليُكتب دون توظيف؛ لذلك كان الاهتمام في هذه الوريقات بهذا الموضوع؛ للتنبيه على ما ذكرت، ولشحذ همم المختصين لولوج هذا الميدان الجليل، لعلهم يخرجون منه بأدوية لأدواء هذه الأمة، ويُسهمون في رفع ما حلّ بها من ضعف وذلّة.

شبهة والرد عليها:

قد يقول قائل: ما الفائدة من التحديث بهذه الأخبار الغيبية المستقبلية؟؟

والجواب: إن أهل العلم ذكروا فوائد عدة للتحديث بهذه النبوءات، (لجنة علمية بكلية أصول الدين، ١٤٤٢هـ، ١٧٢)، منها(١٦):

---

(١٥) انظر لمزيد من التفصيل في ذلك: –أصول الفقه الإسلامي، زكي الدين شعبان، ط:(١٩٨٨) مؤسسة علي الصباح للنشر والتوزيع، الكويت. ص٤٦٦ وما بعدها.

وراجع إن شئت: تفسير النصوص في الفقه الاسلامي لمحمد اديب صالح، طبعة (١٤٠٤) المكتب الإسلامي، بشكل خاص، ومباحث الدلالات في كتب أصول الفقه الإسلامي بشكل عام.

(١٦) كتاب الثقافة الإسلامية، المستوى الأول، اللجنة العلمية بكلية الدعوة وأصول الدين ط سنة ١٤٤٢هـ، جامعة أم القرى: مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية. ص١٧٢.

١- الإيمان بها -إذا ثبتت- من الإيمان بالله ورسوله، وتصديقهما فيما أخبرا به من المغيبات.

٢- وقوع تلك المغيّبات مطابقة لما ورد في نصوص النبوءات يثبّت إيمان المسلم ويقوّيه، وهو صورة من صور الإعجاز الغيبي الذي نحتج به على إثبات ربانية القرآن.

٣- التحديث بها جزء من البلاغ للرسالة التي كُلّف بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن في كثير منها توجيها نبويا لمن سيأتي بعده من أمته، ولمن سيعيش بعده من صحابته، كيف يتصرفون إزاء هذه الأحداث والوقائع، وهو نوع من البيان الواجب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤- التطلع إلى المستقبل أمر فطري، لذلك يلجأ الجهلة للسحرة والمشعوذين والمنجمين، فالتحديث بالمغيبات، يحقق هذه الرغبة الفطرية ويسد الباب على الدجاجلة والكهان والعرّافين.

المبحث الثاني:

ضوابط في التعامل مع النبوءات بشكل عامّ.

سأعرض في هذا المبحث -باختصار- لأهم ما ذكره أهل العلم من ضوابط في هذا المسار تعصم من الزلل وتحفظنا من الخطأ والخلل.

أولا: الاعتماد على الثابت دون غيره:

غنيّ عن البيان أن العمدة في هذا المسار على الأحاديث الثابتة التي تصلح للاحتجاج، ولا عبرة بالأحاديث المنكرة والموضوعة، خاصة وأن هذا الأمر فيه تقرير لقضايا لها علاقة بالاعتقاد أحيانا، وبمستقبل الأمة بأفرادها ومجموعها؛ فلا ينبغي التساهل في تقرير حقائق خطيرة بناء على نصوص غير ثابتة.

وقد قال في هذا المعنى شيخ الإسلام ابن تيمية[١٧] رحمه الله (الحراني، ١٤٢٦هـ، ٣/٣٨٠) «فالواجب أن يفرق بين الحديث الصحيح والحديث الكذب، فإن السنة هي الحق دون الباطل، وهي الأحاديث الصحيحة دون الموضوعة، فهذا أصل عظيم، لأهل الإسلام عموما، ولمن يدعي السنة خصوصا».

وننبه هنا إلى ضرورة التفريق بين الأحاديث الضعيفة خفيفة الضعف، والأحاديث الضعيفة شديدة الضعف ومثلها الأحاديث المنكرة والموضوعة، فهما لا يستويان عند أهل العلم، فقد تتقوى الأحاديث الضعيفة خفيفة الضعف بالشواهد والمتابعات بخلاف المنكرة والموضوعة، وقد يُستفاد منها في إزالة إشكال أو مزيد بيان، أو ترجيح توجيه ما، مما ليس فيه تشريع جديد أو تقرير عقائد ونحو ذلك. وكذا في الفضائل بالشروط المعروفة كما هو معلوم ومعمول به عند كثيرين.

---

(١٧) هو الإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، ولد في ربيع الأول سنة ٦٦١هـ، امتُحن كثيراً وسُجن بقلعة دمشق، كان آية في الأصول والتفسير، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان، أفتى ودرّس وهو دون العشرين.

له مؤلفات كثيرة، منها: مجموع الفتاوى، اقتضاء الصراط المستقيم، السياسة الشرعية. توفي بدمشق ودفن فيها سنة ٧٢٨هـ. (وفيات الأعيان ١/٣٥-٤٥).

فلا يصح إطلاق رد الحديث الضعيف، كما تفيده عبارات كثير ممن جعل الضعيف من أنواع المردود مطلقا، مخالفا جماهير العلماء سلفا وخلفا، ومعرضا عن صنيع أصحاب أشهر مصنفات الحديث بعد الصحيحين. والله الحافظ.

ثانيا: عدم الجزم بمدلولات النصوص إلا في حالات خاصة.

لا يخفى أن النصوص قد تكون صريحة وقد تكون غير صريحة، وأن مدلولاتها قد تكون واضحة لا تحتمل غير ما يُفهم من ظاهرها، وفق لغة العرب التي هي لغة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، صاحب هذه النصوص، فهذا النوع أمره واضح؛ لما ذكرنا من اعتبارات.

وأن بعضها حمال وجوه، يحتاج إلى إعمال قواعد فهم النصوص، ومعرفة بمبحث الدلالات في علم أصول الفقه، ومعرفة عميقة بلغة العرب، مما لا يتيسر إلا لأهل العلم الراسخين.

ولا بد –أيضا– لمعرفة المراد منه من الرجوع إلى إجماع السلف أو إجماع من بعدهم إن وُجد ذلك، وإلى اجتهادات أهل العلم عند شرحهم لهذه الأحاديث قبل الجزم بالمراد، وإلا أبقينا النص مفتوحا على المعاني التي يحتملها؛ لكيلا نجزم فيما لا نملك معطيات الجزم فيه.

وهنا ينبغي التفريق بين النص المعصوم والفهم غير المعصوم، الذي قد يكون صوابا، وقد لا يكون كذلك، إلا إذا أزال احتمالَه الإجماعُ على أحد معانيه كما هو معلوم.

ثالثا: عدم الجزم بإسقاطاتنا للنصوص على الواقع إلا إذا توافرت معطيات الجزم.

فلا ينبغي الجزم بأن مراد النبي صلى الله عليه وسلم هو كذا وكذا مما قد تشمله النبوءة من وقائع وأحداث سابقة ومعاصرة، إلا إذا كان ذلك صريحا في النص ولا يحتمل غيره، كنبوءة فتح بيت المقدس والقسطنطينية، ونبوءة فتنة زمن سيدنا عثمان رضي الله عنه، وغيرها مما يسهل الوقوف عليه في أحاديث الملاحم والفتن وأشراط الساعة الكثيرة، وإنما نُبقي الاحتمال قائما، والإسقاط محتملا، واستكشاف الجديد واردا.

وهنا –أيضا– ينبغي التفريق بين النص المعصوم الذي لا يكون إلا صوابا، والإسقاط غير المعصوم، الذي قد يكون صوابا، وقد لا يكون كذلك. والله أعلم.

رابعا: عدم الركون إلى السلبية.

فقد ذكر العلماء (لجنة علمية بكلية أصول الدين، ١٤٤٢هـ، ١٨٣)، "ضرورة البعد عن الوقوع في حالة اليأس أو التشاؤم أو الإحباط أو أن يركن المسلم إلى السلبية أو انتظار ما يأتي دون سعي منه أو عمل صالح يُغيّر من حال الأمة، ولعل أعظم رد على المتشائمين أو القاعدين ... هو قوله صلى الله عليه وسلم: (إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليفعل)"[(١٨)، (١٩)].

وذلك لأن هذا الركون والتشاؤم أو القعود يتنافى مع الحكمة من التحديث بها. والله أعلم.

---

(١٨) رواه أحمد في المسند (١٢٩٠٢)، والبخاري في "الأدب المفرد" (٤٧٩)، وعبد بن حميد في "مسنده" (١٢١٦)، والبزار في "مسنده" (٧٤٠٨) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه.

(١٩) كتاب الثقافة الإسلامية، المستوى الأول، اللجنة العلمية بكلية الدعوة وأصول الدين ط سنة ١٤٤٢ هـ جامعة أم القرى: مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية. ص١٨٣.

القسم الثاني: القسم التطبيقي

المبحث الأول: نبوءات مستقبليّة معها توجيهات نبويّة.

أقتصر في هذا المبحث على نموذجين كافيين إن شاء الله من النبوءات المستقبلية التي ورد معها التوجيه النبوي الصريح لما ينبغي فعله. وذلك في مطلبين اثنين، أرجو أن يتحقق بهما الغرض ولو في حدّه الأدنى، وبالله التوفيق.

المطلب الأول: حديث فساد الزمان.

عن الزبير بن عدي قال: "أتينا أنس بن مالك[٢٠] فشكونا إليه ما يلقون من الحجاج، فقال: **اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشر منه حتى تلقوا ربكم**"[٢١] سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم.

النبوءة: سجّل التاريخ تحقّق هذه النبوءة بشكل واضح جلي بالنظر إلى أغلب أحوال الأمة وأزمنتها، وعشناها نحن في زماننا؛ فإن من مرت عليه عقود من عمره يشعر بالفرق الواضح في الأحوال من حيث الخير والشر، ويحس بأن اللاحق أسوأ من السابق، وأن التناقص المتدرج واقع لا شك فيه.

تنبيه: المقصود بالتفضيل هنا تفضيلٌ عامٌّ وأغلبيٌّ، وليس المقصود أن كل ما هو آت أسوأ ممّا مضى في كل شيء وفي كل الجزيئات، لأن التاريخ والواقع يشهدان بخلاف ذلك، وكذا أحاديث نزول المسيح وظهور المهدي وعودة الخلافة الراشدة، وغيرها كثير.

إنما المقصود وضع الأمة العام وجوانب الخير الشاملة لمجموع الأمة وليس لجميع أفراد الأمة ومختلف بيئاتها.

وقد يكون المراد الجانب العلمي بخصوصه، وأنه سيشهد تناقصا مستمرا، حتى يُرفع بالكلية بموت العلماء وبما سيحصل فجأة قُبيل قيام الساعة من رفع القرآن، وعدم وجود من يقول:

الله الله، كما ورد في الصحيح[٢٢].

وقد قال ابن حجر[٢٣] في الفتح (العسقلاني، ١٣٧٩هـ، ٢١/١٣): "وجدت عن عبد الله بن مسعود التصريح بالمراد وهو أولى بالاتباع، فأخرج يعقوب بن شيبة من طريق الحارث بن حصيرة عن زيد بن وهب قال "سمعت عبد

---

(٢٠) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة، أو أبو حمزة: صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمه. روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثا. مولده بالمدينة وأسلم صغيرا وخدم النبي صلى الله عليه وسلم، إلى أن قبض. ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها. وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة (ت سنة٩٣هـ).
(طبقات ابن سعد ٧: ١٠، الأعلام للزركلي٢/٢٤)

(٢١) البخاري: كتاب الفتن، باب: لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، رقم: ٧٠٦٨، والترمذي: كتاب الفتن، رقم: ٢٢٠٦، وأحمد في المسند: ١١٧/٣.

(٢٢) عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لاَ يُقَالَ فِي الأَرْضِ: الله، الله". رواه مسلم برقم: ١٤٨

(٢٣) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني أبو الفضل، أصله من عسقلان بفلسطين، ولد بالقاهرة سنة ٧٧٣هـ، كان فصيح اللسان، قال فيه السخاوي: انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر، له تصانيف كثيرة جليلة منها: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، وفتح الباري في شرح صحيح البخاري. توفي –رحمه الله تعالى– بالقاهرة سنة ٨٥٢هـ.
(الضوء اللامع ٢/٣٦، الأعلام ١/١٧٨، البدر الطالع للشوكاني ١/٨٧).

الله بن مسعود يقول: لا يأتي عليكم يوم إلا وهو شر من اليوم الذي كان قبله حتى تقوم الساعة، لست أعني رخاء من العيش يصيبه ولا مالا يفيده ولكن لا يأتي عليكم يوم وإلا وهو أقل علما من اليوم الذي مضى قبله، فإذا ذهب العلماء استوى الناس فلا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر فعند ذلك يهلكون"[٢٤] نسأل الله أن لا يبلّغنا ذلك الزمان.

التوجيه: يمكن أن يستفاد من توجيه الصحابي رضي الله عنه الصريح بالصبر على جور الحكام – مع احتمال كون الأمر بالصبر في الأثر مرفوعا أيضا– ومن الكلام النبوي الصريح بعده ما يلي:

أولا: على المصلحين وضع هذه الحقيقة نصب أعينهم وأن تخطيطاتهم للقضاء على الفساد والتقليل من أضراره، وتنظيراتهم للنهوض بالأمة ينبغي أن تتناسب مع هذا الانحطاط المستمر في أوضاع مجموع الأمة والازدياد الخطير للفساد، وأن يُراعى ذلك من ناحية الكم والكيف كما يُراعى من ناحية الزمان والمكان، ولعل من فوائد هذه الحقيقة الخاصة بأهل الذكر أن يراعوا هذه التغيرات السننية في استنباطاتهم الفقهية أو الفكرية أو الدعوية أو التنظيرية، فلا يطلبون ممن يعيش بعد قرون من زمن النبوة ما يطلب مما عاش ينعم ببركات ذلك العصر، ولا ينظّرون لمن يعيش في بيئة إسلامية يتحاكم أهلها لشريعة الإسلام ويُحاطون بأعراف طيبة لا تُخالف الإسلام، ما ينظِّرونه لمن يعيش في بلدان الكفار، وبلدان من يحاربُ دينهم وقِيَمهم، ونحو ذلك مما يُضبط بالعلم والحكمة، وحسن الفهم للنصوص، وصواب الإسقاط لها على واقع الناس.

ثانيا: إن مما ينبغي في التعامل مع ولاة الأمور المسلمين الصبر على ظلم الظالم منهم وعلى أخطاء المخطئ منهم، ما أقاموا فينا الصلاة وأحكام دين الله، وإن الصبر عليهم وعلى ظلمهم وأخطائهم أولى من الخروج عليهم بالقتال ونحوه؛ لما في ذلك من مفاسد ومخاطر لا تخفى على القاصي والداني، ولا يُفهم من هذا تركُ أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بما يناسب ويُتاح، ولا ترك السعي لإصلاح الفاسد من الأوضاع بما هو متاح أو يمكن –بالسعي– أن يتُاح، ولا ترك المشاركة أو السعي –حسب المتيسّر– في اختيار الأرشد للأمة، وحسن التخطيط لذلك، وكل ذلك مقرون بقيد درء المفاسد وتقديمه على جلب المصالح، وبقاعدة تقديم أرجح المصلحتين وإبعاد أخطر المفسدتين، كما هو معلوم من ديننا –عند التعارض– بشكل قاطع لا مرية فيه. وعلى هذا الكلام أدلة كثيرة، يكفينا منها ويُغنينا حديث أنس هذا، وحديث أم سلمة عند مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنَّه يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُم أُمَراءُ، فَتَعْرِفُونَ وتُنْكِرُونَ، فمَن كَرِهَ فقَدْ بَرِئَ، ومَن أنْكَرَ فقَدْ سَلِمَ، ولَكِنْ مَن رَضِيَ وتابَعَ، قالوا: يا رَسولَ اللهِ، ألا نُقاتِلُهُمْ؟ قالَ: لا، ما صَلَّوْا. وفي رواية: بنَحْوِ ذلكَ، غيرَ أنَّه قالَ: فمَن أنْكَرَ فقَدْ بَرِئَ، ومَن كَرِهَ فقَدْ سَلِمَ.))[٢٥]، وعليه فينبغي مراعاة ذلك في التخطيطات التربوية، والتوجيه العام، والمشاريع الإصلاحية بشكل عام، وفي فقه التعامل مع الحكام المسلمين بشكل خاص؛ فإن سوء الفهم لما ورد في هذا الجانب تحفُّه مخاطر كثيرة، وترتَّبتْ عليه مفاسد كثيرة. والله الحافظ.

---

(٢٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ط دار المعرفة: سنة: ١٣٧٩هـ بيروت، لبنان.

(٢٥) صحيح مسلم، باب وجوب الانكار على الامراء فيما يخالف الشرع وترك قتالهم ما صلوا ونحو ذلك، رقم ٣٤٥١ وجامع الترمذي كتاب الفتن، رقم ٢٢٦٥، وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح.

المطلب الثاني: حديث نفي اجتماع الأمة على ضلالة.

((لن تجتمع أمتي على الضلالة أبدا، فعليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة))[٢٦]

النبوءة:

لم يحصل فعلا –بحمد الله– أن اجتمعت كلمة الأمة على ضلالة في عصر من العصور، فلم تزل طائفة من الأمة على الحق ظاهرين في كل زمان وآن، وكلمةُ أئمة الدين الثقات مجتمعةً على المعلوم من الدين بالضرورة، وأصول الدين وكلّياته وقواطعه، والحمد لله رب العالمين. ولا تضر مخالفةُ غير الثقات ممن ينتحل الإمامة في الدين وهو من الأدعياء الضُّلَّال المنحرفين، ولا مخالفةُ غير العلماء المجتهدين من الجهال المتجرّئين[٢٧].

التوجيه:

الدعوة إلى التزام الجماعة وعدم الشذوذ، ومن صور ذلك:

– عدم مخالفة الإجماع الثابت، وعدم الخلاف في حجيته وقطعيته.

– وطاعة أولياء الأمور مِنَّا في المعروف، كما ثبت في النصوص[٢٨].

– والتزام ما عليه جمهور أمة الاسلام في العقائد والأحكام، وترك الشذوذ عنهم في ذلك.

وعليه فعلى العلماء والدعاة العناية بما يحقق الأمر النبوي ويعين عليه، وذلك يكون –مثلا– بالتخطيط الحكيم والتنفيذ الراشد لما يلي:

أولا: الاهتمام الكبير بمسائل الإجماع تعليما وتدريبا، وجعل ذلك أولوية في برامج التعليم والتربية والتكوين.

ثانيا: التحديد الدقيق للمعلوم من الدين بالضرورة الذي يدور عليه أمر الولاء والبراء، والذي لا يثبت إسلام المرء وإيمانه إلا إذا بقي داخل دائرته تصديقا وتسليما، والذي لا يتحقق الأمر النبوي الواضح في هذا الحديث إلا بمعرفته والالتزام بمقتضياته.

ثالثا: التركيز على معرفة معنى الشذوذ في العقائد والأحكام والمواقف، ومحاولة التخطيط لإيجاد دراسات عميقة – نظرية وتطبيقية – على ذلك، مع إسقاط سليم وحكيم على واقعنا المعاصر والمعيش، إسهاما منا في تحقيق الاستفادة من الهدي النبوي وترشيد مسار الأجيال من خلال هذه النبوءة المهمة والبشرى العظيمة، والأمر الصريح، والوعيد الصارخ.

---

(٢٦) الترمذي: كتاب الفتن، باب: ما جاء في لزوم الجماعة، رقم: ٢١٦٧، والطبراني في الكبير، رقم: ١٣٦٢٣، وابن ماجه: كتاب الفتن، باب: السواد الأعظم، رقم: ٣٩٥٠.

(٢٧) وقد كثر هذا في زماننا ولا حول ولا قوة إلا بالله، وانتشر في وسائل التواصل الحديثة انتشار النار في الهشيم، والعياذ بالله.

(٢٨) ومن ذلك مثلا حديث ((إنَّما الطَّاعَةُ في المعروفِ)) أخرجه البخاري عن علي بن أبي طالب، رقم٧٢٥٧.

المبحث الثاني:

نبوءات مستقبلية مع استنباط فوائد استشرافية.

وفيه مطلبان:

أقتصر هنا –أيضا– على نموذجين من النبوءات التي لم يذكر معها توجيه صريح، ونحاول استنتاج ما يمكن أن يُستشفّ منها من إشارات وفوائد تتعلق بموضوع التخطيط والتنظير وما حام حولهما، والله المستعان.

المطلب الأول: أحاديث انتشار الإسلام في العالم.

ورد في هذا المعنى أحاديث كثيرة، نقتصر هنا على اثنين منها.

الأول: حديث تميم الداري رضي الله عنه:

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**لَيَبْلُغن هذا الأمر ما بلغ اللَّيل والنَّهار، ولا يترك الله بيت مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلَّا أدخله اللهُ هذا الدِّين، بِعِزِّ عَزِيزٍ أو بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ الله به الإسلام، وذُلًّا يُذِلُّ الله به الكفر**))[٢٩].

الثاني: حديث ثوبان رضي الله عنه.

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضا**))[٣٠].

النبوءة:

أما وصول دعوة الإسلام وسماع القرآن وتداول أخبار المسلمين في كل بيوت البشر تقريبا؛ فقد تحققت النبوءة فيه بشكل واضح بسبب جهود الدعاة والمصلحين والفاتحين، وطفرة وسائل الإعلام المعاصرة، وثورة التواصل الجديدة التي جعلت العالم كله قرية واحدة، بحيث لا يمكن أن يكون هناك بيت حجر ولا مدر، في المدن والقرى والبوادي، إلا دخله الإسلام أو سُمع فيه القرآن، أو وصله ما يقال عن الإسلام، وهو تأويل الحديث الأول.

---

(٢٩) رواه أحمد (١٠٣/٤) (١٦٩٩٨)، والطَّبراني (٥٨/٢) (١٢٨٠)، والحاكم (٤٧٧/٤)، والبيهقي (١٨١/٩) (١٩٠٨٩). قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)): رجاله رجال الصَّحيح. (١٧/٦).

(٣٠) مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، رقم: ٢٨٨٩، وأبو داود: كتاب الفتن، باب: ما جاء في سؤال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثاً في أمته، رقم: ٢١٧٦. والترمذي رقم (٢١٧٦)، وأحمد رقم (٢٢٤٤٨)، ورقم (٢٢٥٠٥)، وابن حبان رقم (٦٧١٤)، وابن أبي شيبة رقم (٣١٦٩٤)، والحاكم في المستدرك رقم (٨٣٩٠).

أما بسط حكم الإسلام على ما زُوي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من مشارقها ومغاربها، فلا شك أنه تحقق جزء كبير منه، فقد بلغت فتوحات المسلمين قلب أوربا غربا، وأقاصي الصين شرقا، ومازال الباب مفتوحا لتحقق النبوءة بشكل تام بإذن الله، ولكل أجل كتاب. وهو تأويل الحديث الثاني.

قال القرطبي فيما نقله عنه صاحب تيسير العزيز الحميد[٣١] (سليمان، ١٩٩٦م، ٢٥٠): "هذا الخبر وجد مخبَره كما قال، وكان ذلك من دلائل نبوته، وذلك أن ملك أمته اتسع إلى أن بلغ أقصى طنجة – بالنون والجيم– الذي هو منتهى عمارة المغرب، إلى أقصى المشرق مما هو وراء خراسان والنهر، وكثير من بلاد السند [باكستان حاليا] والهند، والصغد [طاجكستان حاليا]، ولم يتّسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال. وذلك لم يذكر عليه السلام أنه أُرِيَه، ولا أخبر أن مُلك أمّته يبلغه"[٣٢].

الفوائد:

الحديث برواياته فيه تصريح صريح بأن حكم الإسلام سيُبسط على المشارق والمغارب، وهذا الكلام المعصوم يفتح باب الأمل على مصراعيه أمام المصلحين والمنظّرين، وفيه بشارة واضحة بنصر وتمكين آتيَيْن ومستمرّين، لا محالة، إن شاء الله.

فعلى الدعاة إلى الله أن يُحسنوا توظيف هذه البشارة وما تحمله من أثر نفسيّ ودفع معنويّ في التوجيه والتأصيل والتخطيط والتنظير.

وقد أشار الشُّرّاح إلى ما في ذكر المشارق والمغارب، دون الشمال والجنوب، بأن ملك هذه الأمة سيكون معظم امتداده في جهتي المشرق والمغرب، كما سبق عن القرطبي، فإن سلمنا بذلك – لما ذُكر ولما في أداة التبعيض– كان على المصلحين وضع ذلك في حساباتهم وتخطيطاتهم وترتيب أولوياتهم، وإن لم نسلّم بذلك لاحتمال قصد التعميم، كما هو معهود في إطلاقات النصوص، رُوعي ذلك بما يقتضيه، والله أعلم.

(٣١) هو أبو العبّاس أحمد بن عمر القرطبي صاحب المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، وليس هو صاحب التفسير الفقهي المشهور، عُرف بابن المزين، رحل مع أبيه من الأندلس وهو صغير، إلى فاس وتلمسان، ثم الإسكندرية والمدينة ومكّة والقدس. توفي –رحمه الله– سنة ٦٥٦هـ، ودفن بالإسكندرية.

(الوافي بالوفيات (٢٩٥/٧)، تذكرة الحفاظ (١٤٣٨/٤).

المطلب الثاني: حديث الإشارة إلى عالم المدينة الإمام مالك[٣٣] رحمه الله

عن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: ((**يُوشِكُ أَن يَضْرِبَ النَّاسُ أَكبَادَ الإِبِلِ يَطلُبُونَ العِلمَ فَلاَ يَجِدُونَ أَحَدًا أَعلَمَ مِن عَالِمِ المَدِينَةِ**))[٣٤].

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله عليه وسلم: ((**تضربون أكباد الإبل وتطلبون العلم ولا تجدون عالماً أعلم من عالم المدينة**))[٣٥].

ورواه أيضاً أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ قريب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**يخرج ناس من المشرق والمغرب في طلب العلم فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة أو عالم أهل المدينة**))[٣٦].

وذكر ابن حبيب عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**لا تنقطع الدنيا حتى يكون عالم بالمدينة تضرب إليه أكباد الإبل ليس على ظهر الأرض أعلم منه**))[٣٧].

قال سفيان بن عُيَيْنَةَ[٣٨]: نرى أن المراد بهذا الحديث مالك بن أنس.

وقال غيره بذلك كذلك، كما مضى وكما سيأتي.

النبوءة:

ما ذُكر من ضرب أكباد الإبل إلى من وصف بأنه عالم المدينة وهو الإمام مالك رحمه الله –على ما ارتضاه كثيرون– حصل فعلا، وسجّله التاريخ، كما أخبر به صلى الله عليه وسلم.

---

(٣٣) هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، أبو عبد الله، جده أبو عامر رضي الله عنه صحابي شهد المغازي كلها خلا بدر. ومالك هو إمام دار الهجرة، وتتلمذ عليه الأئمة، قال الشافعي: "مالك أستاذي وعنه أخذت العلم، وجعلت مالكا بيني وبين الله حجة، وإذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب". ولم يبلغ أحد مبلغ مالك في العلم؛ لحفظه وإتقانه وصيانته، كان لا يركب في المدينة مع ضعفه وكبر سنه ويقول: "لا أركب في مدينة فيها جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم، انتصب للتدريس وهو ابن سبع عشرة سنة، واحتاج إليه شيوخه. ولد سنة ٩٣هـ وتوفي سنة ١٧٩هـ. (شجرة النور الزكية لمخلوف ص٥٤).

(٣٤) الترمذي: كتاب العلم، باب: ما جاء في علم المدينة، رقم: ٢٦٨٠، وقال عنه حديث حسن، وأحمد في مسنده: ٢٩٩/٢٠. قال القاضي عياض في ترتيب المدارك: ٦٩/١: "قد رواه غير سفيان عن ابن جريج بمثل حديث سفيان منهم المحاربي عن ابن جريج موقوفاً على أبي هريرة رضي الله عنه ومحمد بن عبد الله الأنصاري عن ابن جريج أيضاً مسنداً وهو ثقة مأمون، وهذا الطريق أشهر طرقه ورجاله ثقات مشاهير خرج عنهم البخاري ومسلم وأهل الصحيح".

(٣٥) السنن الكبرى للنسائي، فضل عالم المدينة، رقم ٤١٧٦، ولكنها بياء الغائب وليست بتاء الخطاب.

(٣٦) أخرجه في عوالي مالك بن أنس، أبو أحمد الحاكم: ٥٥/١، رقم ١١٤.

(٣٧) سنن الترمذي كتاب العلم، باب ما جاء في عالم المدينة، رقم ٢٦٨٠ وقال عنه هذا حديث حسن.

(٣٨) هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، ثم المكي، الإمام المشهور، يقال أنه حجّ ثمانين حجة، أجمعت الأمة على الاحتجاج به، وكان يدلّس لكن المعهود عنه أنه لا يدلّس إلا عن ثقة، وكان قوي الحفظ. ولد: ١٠٧هـ وتوفي: ١٩٨هـ. (ميزان الاعتدال، ٣٩٧/١، تذكرة الحفاظ، ٢٤٢/١).

قال القاضي عياض نقلا عن أبي عبد الله التستري[٣٩] (عياض، ١٩٩٨م، ١/٧١): "ولا نعلم أحداً انتهى إليه علم أهل المدينة وأقام بها ولم يخرج عنها ولا استوطن سواها في زمن مالك مجمعاً عليه إلا مالكاً. ولا أفتى بالمدينة وحدث نيفاً وستين سنة أحد من علمائها يأخذ عنه أهل المشرق والمغرب ويضربون إليه أكباد الإبل غيره"[٤٠].

وهناك تفصيل وتحقيق في المسألة يراجع في مظانه

الفوائد:

في النبوءة إرشاد ضمني- يقتضيه التحديث بها - إلى هذا الإمام، وتزكية نبوية صريحة له، وإشادة واضحة بمرجعيته وبعلمه.

وهذا يقتضي شيئا من الاهتمام الخاص بما ثبت عن هذا الإمام من تقعيد، أو تأصيل، أو تفريع، أو تفصيل، والتوجيه إلى إنجاز دراسات خاصة عن فكر الرجل وأصول فقهه ومناهجه في الاستنباط والاستدلال، للاستفادة منها في التخطيط والتنظير، على لأنها أولوية بسبب الإرشاد النبوي، ونحو ذلك. (مع عدم الجزم لغياب الإجماع كما لا يخفى)

وفيها: تأصيل لمسلك اتخاذ أئمة يُقتدى بهم يخلُفون رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيادة الأمة وتعليمها وإرشادها، والتخطيط الدقيق لذلك، وعدم الغفلة عن ذلك فيما نحن فيه.

وفيها: دعوة إلى السفر إلى أمثال هؤلاء حيث يوجدون، وأن لهذا المسلك بركته وأهميته وثمرته.

فعلى أهل التوجيه والتخطيط والإصلاح أن يخصصوا مكانا لهذا الإمام وفقهه وسيرته في مناهجهم وتخطيطاتهم؛ احتياطا وأدبا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يُولُوا مسألة إيجاد القدوات والدعوة إلى الاقتداء بهم أهمية خاصة اتباعا للسنة، وأن يخططوا لإرسال المتأهلين إلى القدوات الكبار وأهل العلم والفكر والدراية ينهلوا من علمهم وينفعوا بذلك أمّتهم.

ولا أراني بحاجة إلى التنبيه إلى أن بعض الحواضر أولى من بعض؛ لنصوص شرعية واعتبارات مرعية.

(٣٩) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن عمرو التستري، وهو من أقارب سهل بن عبد الله التستري. كان عالماً بمذهب الإمام مالك، وصنف في «مناقبه» نحو عشرين جزءاً، وله كتاب في «فضائل أهل المدينة» توفي سنة ٣٤٥ هـ (الأعلام للزركلي ٥/٣١٠).

(٤٠) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لأبي الفضل بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي، ت: محمد تاويت الطنجي ط٢، (١٩٨٣م)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية. ١/٧١.

وراجع إن شئت: رسالة في التمذهب (صحة أصول مذهب أهل المدينة) لشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، ففيها ما يروي الغليل ويشفي العليل، إن شاء الله الجليل.

الخاتمة:

بعد هذه المحاولة اليسيرة للاستفادة من النبوءات النبوية، في ما تستقبله الأمة، وما سيأتي في قابل الأيام، **أسجل النتائج الآتية:**

أولا: إن النبوءات النبوية مهمة للغاية، والتحديث بها له غايات كثيرة، وفوائد غزيرة، غير كونها من دلائل النبوة الواضحة والملموسة، والتي مضى بعضُها، ونعيش منها أخرى، وننتظر سائرَها.

ثانيا: إن من النبوءات ما فيه توجيه لما ينبغي فعله إذا وقع مخبَرُها، فهذا يجب العمل به إذا تحقق شرطه بشكل قاطع، لا إشكال فيه. وهو من أهم ما ينبغي التخطيط لتعلّمه وتعليمه قبل حدوثه، ولحسن استثماره بعد وقوعه.

ثالثا: إن منها ما لم يُذكر معه توجيه لما ينبغي فعله، فهذا ينبغي الاهتمام بحكمة التحديث به، وما يقتضيه العلم به من تدابير وتخطيطات واحتياطات، ويستعان لذلك بذوي الكفاءات والخبرة والتجربة والاختصاص.

رابعا: إن هذه النبوءات معطيات معصومة ينبغي الاعتناء بها قبل غيرها في مسار التخطيط والتنظير والاستشراف، وتجاوزُها نوعٌ من الإعراض عن النصوص التي أُمِرنا بالاحتكام إليها.

خامسا: أن الجزم بتحقّق أغلب النبوءات، وتأويلها في الواقع، وإسقاط ما فيها من توجيه أو ما يُفهم منها من فوائد وتعاليم، ليس لعامة الناس، بل لعلمائهم وفقهائهم ونُظَّارهم؛ فلا بد من الرجوع إليهم في ذلك.

التوصيات:

أولا: أوصي بمزيد من العناية بالنبوءات النبوية وخاصة منها ما له علاقة بمستقبل الأمة والأخطار المتوقع تعرّضها لها، جمعا وتخريجا ودراسة وإسقاطا، وتسجيل رسائل جامعية في ذلك، وكتابة بحوث دقيقة في تفاصيل ذلك.

ثانيا: أوصي بتخصيص النبوءات التي صاحبها توجيه صريح بموسوعة تُعنى بها بشكل خاص؛ فنتأكد من ثبوت الروايات أولا، ونتأكد من المقصود بالنبوءة ثانيا، وهل تحققت أم لا؟ ثم نهتم اهتماما بالغا بالتوجيه الذي يصاحبها، وكيفية تطبيقه في الواقع الحالّ والمتوقع.

ثالثا: أوصي بتخصيص النبوءات التي لم يصاحبها توجيه نبوي بموسوعة خاصة أخرى، ونتأكد من الثبوت والمقصود والتحقق كما نفعل في التي قبلها، ثم نحاول التخطيط والتنظير لمبادرة وقوعها بما ينبغي حسب اجتهادات أهل العلم والخبرة، ونركّز على مواطن الإجماع في رؤاهم، فنقدمها على غيرها، ولا نغلق الباب أمام ما تجود به قرائح المجتهدين والنظَّار والمفكرين، وما يثمره علمهم، وما تقتضيه حكمتهم.

رابعا: أوصي بإضافة مقرر خاص -إذا لم يكن موجودا- في المعاهد والجامعات في تخصص الحديث أو أقسام الكتاب والسنة، للنبوءات، وفقه التعامل معها، وما يستفاد منها، ونحو ذلك مما يتعلق بها، لأهميتها البالغة في تكوين طالب العلم، ولعظيم مكانتها في سلم الأولويات، ولضرورتها للدعاة إلى الله. والله الموفق وهو يهدي السبيل.

والحمد لله في البدء والختام والصلاة والسلام على خير الأنام.

قائمة بأهم مراجع البحث

أصول الفقه الإسلامي، زكي الدين شعبان، ط:(١٩٨٨م) مؤسسة علي الصباح للنشر والتوزيع، الكويت.

الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط١١ (١٩٥٥م) بيروت، لبنان.

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، ط١، (١٣٤٨هـ) مطبعة السعادة، القاهرة، مصر.

التخطيط والبرمجة التربوية للأنشطة البدنيّة والرياضيّة، الجزائر– مروان جوبر (٢٠١٨م)، فسديس: جامعة مصطفى بن بولعيد، باتنة، الجزائر

تذكرة الحفاظ، لشمس الدين الذهبي، طبعة (١٣٨٨هـ). دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند

ترتيب المدارك وتقريب المسالك، لأبي الفضل بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي، ت: محمد تاويت الطنجي ط٢، (١٩٨٣م) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.

تفسير النصوص في الفقه الإسلامي، محمد أديب الصالح. طبعة٣ (١٤٠٤هـ) المكتب الإسلامي: بيروت، لبنان.

تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد. سليمان، بن عبد الوهاب طبعة دار الكتب العلمية، (١٩٩٦م) بيروت، لبنان.

الثقافة الإسلامية، المستوى الأول اللجنة العلمية بكلية الدعوة وأصول الدين ط٢ (١٤٤٢هـ)، جامعة أم القرى: مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

سير أعلام النبلاء: الذهبي، الحافظ (محمد بن أحمد)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وحسين الأسد، ، طبعة ثانية، (١٤٠٢هـ–١٩٨٢م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن مخلوف، بيروت: دار الكتاب العربي. (د.ت)، (د.ط).

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، عبد الحي بن أحمد، تحقيق: محمود الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، ط١ (١٤٠٦هـ–١٩٨٦م). دار ابن كثير، دمشق/بيروت.

صحة أصول مذهب أهل المدينة (رسالة في التمذهب) (د.ت)، (د.ط).

الضوء اللامع، لشمس الدين السخاوي، مكتبة القدسي، ١٣٥٣هـ. القاهرة

طبقات ابن سعد، لأبي عبد الله محمد بن سعيد البصري الزهري، طبعة (١٣٧٧هـ–١٩٧٥م) دار بيروت للطباعة والنشر.

فتح الباري شرح صحيح البخاري. لابن حجر أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، ط(١٣٧٩هـ). دار المعرفة: بيروت، لبنان.

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، (١٤١٢هـ).

مجموع الفتاوى. أحمد بن عبد الحليم، ابن تيمية الحرّاني، ط٣، سنة (١٤٢٦هـ) دار الوفاء: المنصورة، مصر.

مختار القاموس المحيط، للفيروزآبادي: مادة نبأ. طبعة دار خدمات القرآن-دمشق- سوريا، د ت.

مختار الصحاح للرازي: مادة نبأ، طبعة مؤسسة الرسالة بيروت، سنة: ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس(ت٣٩٥هـ) ت أنس الشامي، طبعة دار الحديث، القاهرة، سنة ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م

موسوعة الدار الآخرة للدكتور عبد المجيد الهنداوي، ط (٢٠٠٧) مكتبة عباد الرحمن، ومكتبة العلوم والحكم، مصر

ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، طبعة أولى، (١٣٨٢هـ-١٩٦٣م). مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، بمصر.